

خالد بفلسفته

للإمام الأكبر وفيلسوف العرب والاسلام الأشهر

الشيخ عبد الكريم الزنجاني

— النجفي —

الناشر

الوجيه الكبير الفاضل السيد محمد سعيد آل ثابت

١٣٨٢ هج ١٩٦٢م

مطبعة الغري الحديثة - النجف

تلفون ٦٨٢





خالد بفلسفته

للإمام الأكبر وفيلسوف العرب والاسلام الأشهر

ن نجاني

يد آل ثابت

الطبعة الاولى

١٣٨٢ هـ : ١٩٦٢ م



تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد على سماحة آية الله الامام فيلسوف العرب والاسلام الشيخ عبد الكريم الزنجانى كتاب رسمى مرقم ٣٦١ ومؤرخ ١ / ٩ / ١٩٦٢ من رئاسة اللجنة العليا لاحتفالات بغداد والكندى جاء فيه ما نصه :

ستقيم الجمهورية العراقية إحتفالا كبيراً لبغداد « مدينة السلام » بمناسبة الذكرى الألفية ، وللكندى أول فلاسفة العرب والإسلام فى المدة الواقعة بين (١) و (٨) من كانون الأول ١٩٦٢ .

ويسرّ لجنة الاحتفالات ان توجه لسيادتكم دعوة عميد الإحتفال سيادة الزعيم الأمين عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة للمشاركة الفعلية فى هذه الاحتفالات عن طريق وضع الدراسات والأبحاث أو الكتب عن بغداد أو الكندى ، آملين أن تصلنا إجابتكم بقبول هذه الدعوة متضمنة موضوع دراستكم فى موعد أقصاه نهاية تشرين الأول ، أما آخر موعد لتلقى البحوث والدراسات فهو الأسبوع الأول من تشرين الثانى سنة ١٩٦٢ وتقبلوا خالص التحية والاحترام .

الرئيس التنفيذى : الدكتور ناجى الأصيل

ثم ورد على الامام الزنجانى كتاب التأكيد المؤرخ فى ٢٢ / ٩ / ١٩٦٢ والرقم ٧٤٢ من سيادة وزير الارشاد ونائب رئيس الشرف لإحتفالات بغداد الزعيم الركن اسماعيل عارف .

فأجاب سماحة الامام الزنجانى الدعوة وأملى كلمة جامعة عن الكندى وفلسفته العربية الإسلامية سجلناها فى الصفحات الآتية ونشرناها لكى تبقى صورة صحيحة خالدة لفلسفة (الكندى) مستخرجة من أوثق المصادر ، عسى أن يتضح لفلاسفة العالم عامة ، ولأعضاء الإحتفال التاريخى خاصة ، ورجال العلم كافة ، أن بعض مؤرخى الفلسفة فى الشرق والغرب صوروا فلسفة الكندى فى صورة خيالية تقشعر من قباحتها الأبدان ، ولا يعرفها أهلها إذا عرضت عليهم .

وأن هذه الفلسفة قد لعبت بها ايدى المغرضين من جهة والجاهلين من ناحية اخرى فصورتها على صورة تؤدى الى تحويل تيارات العقول والأفكار الى الناحية المعاكسة لأصل نشأتها وغايتها . والله يحق الحق ويبطل الباطل وهو على كل شىء قدير .

الناشر

§ § §

سماحة الفيلسوف العظيم الإمام الأكبر الشيخ عبد الكريم الزنجاني



كلمة الامام الزنجانى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله محمد وآله الطاهرين وصحبه الصالحين .

تناولت أقلام الباحثين أكثر النواحي من حياة أول فلاسفة العرب والإسلام « أبي يوسف يعقوب ابن إسحاق ابن الصباح الكندي » وآرائه ومؤلفاته استعداداً لإحتفال الجمهورية العراقية بالذكرى الألفية .

واني بعد تدريس « الفلسفة الاسلامية » مدة تزيد على خمسين سنة لم استغرب أن يرغب إلى نصير الفلسفة والعلوم عميد الاحتفال المحترم فى كلمة جامعة عن أول فلاسفة العرب والاسلام والمعلم العربي الأول « الكندي » وعن فلسفته التى هى أهم عناصر (الفلسفة الإسلامية) ولم أجد من المطاوعة بما أرادوا مفيصاً ، ومن الله استمد التوفيق انه سميع مجيب .

(الكندى)

نسبه :

هو ابو يوسف يعقوب ابن اسحاق ابن الصباح الكندي ، ينتهى نسبه الى « يعرب ابن قحطان » ولد فى « واسط » وعاش فى القرن الثالث الهجري ، أى فى القرن التاسع الميلادى ، وقيل ان (الكندى) ولد

فى البصرة ، وقد يقال انه ولد فى (الكوفة) حيث كان ابوه والياً على الكوفة زهاء عشرين عاماً ، وسنة ولادته غير معلومة ، مثل سنة وفاته .

درج الكندى بين احضان اسرة ماجدة كان لها السيادة والإمارة منذ زمن بعيد . فأبوه اسحاق ابن الصباح كان اميراً على الكوفة فى عهدى « المهدى » و « الرشيد » وجده « اشعث ابن قيس » كان من اصحاب النبي ﷺ بعد الاسلام . وكان فى الجاهلية ملكا على « كندة » كلها ورث المملكة عن آبائه واجداده .

دراسته :

بدأ « الكندى » حياته العلمية فى البصرة ثم ارتحل الى « بغداد » عاصمة العلم والثقافة العالمية إذ ذاك ففيها تهذب وتأدب ومن معارفها انتهل حتى أصبح رأسه دائرة معارف كبرى حوت من الفلسفة والأدب والطب والفلك وفن الألحان والعلوم الرياضية والطبيعيات والكيميائيات ما تعجز عن إحتوائه عشرات الرؤوس .

ولقد دفعه تطلعه الى ان يستقيها من مناهلها الى أن تعلم اللغتين « اليونانية » و « السريانية » وكان ينقل منها الى العربية ، حتى أصبح من « حذاق الترجمة فى الاسلام » وهم ، (حنين بن اسحاق ، ويعقوب بن اسحاق الكندى وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبرى » .

وكان « الكندى » معجباً بالفلسفة اليونانية والحكمة الهندية والمعارف الفارسية اعجابا شديداً حتى أنه عكف على كل هذه المنتجات القيمة يلتهمها فى نهم لم يعرف العرب له نظيراً من قبل . ولهذا كان هو أول من دُعى بالفيلسوف العربى .

مؤلفاته :

أوصل بعض المؤرخين مؤلفات « الكندى » الى ثلاثمأة وخمسة عشر كتابا ورسالة . والبعض الآخر الى مأتين وواحد وثلاثين كتابا ورسالة ذكرها « ابن النديم » فى الفهرست وقد سرد الكثير منها « ابن ابى اصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء » سرداً بلا ترتيب ولا نظام وقد قسمت فى كتاب « تاريخ الحكماء » تقسيما أفردت كل فصيلة منها على حدة .

ووضع بعض المؤرخين لهذه الفصائل الأرقام الآتية : (فلسفة ٢٢ كتابا) (نجوم ١٩) (فلك ١٦) (جدل ١٧) (أحداث ١٤) (الكريات ٨) (فن الألحان ٧) (نفس ٥) (تقدمة المعرفة ٥) (حساب ١١) (هندسة ٢٣) (طب ٢٢) (سياسة ١٢) (طبيعيات ٣٣) (منطق ٩) (احكام ١٠) (ابعاد ٨) . ولكن من المؤسف أن هذه الكتب لم يبق منها إلا النزر اليسير الذى لا يستطيع أن يعطى للمؤرخ صورة واضحة عن فلسفة « الكندى » وان قال بعض الثقات من المؤرخين انها مزيج من فلسفات « افلاطون » و « أرسطو » و « افلوطين » منسوبة كلها إلى أرسطو .

ولكن عندنا سند متصل الى « الكندى » عن طريق معاصره « الفارابى » و « ابن سينا » يعطينا صورة حقيقية واضحة من « فلسفة الكندى » وسنعطيكم صورة موجزة منها فى هذه الكلمة .

أهم اسباب تفلسفه :

إن أهم أسباب تفلسف (الكندى) خاصة وتفلسف العرب والمسلمين عامة هو « الإسلام » الذى هو دين الفطرة والطبيعة ، و [القرآن]

الكريم الذى هو اول كتاب سماوى فرض تعلم العلم والفلسفة على اتباعه فرضاً ، وأوجب عليهم التفكير فى أسرار الكون وخفايا الوجود ليصلوا من هذا التفكير الى معرفة المبدع الأول والايمان به والتيقن بخلود الروح وبالعودة الى حياة اخرى تتحقق فيها عدالة الخالق بمجازاة الخير والشرير بما يستحقانه على عمليهما ، وهل الفلسفة الحقة شيء غير هذا؟ وهل هناك فرق بين دعوة الفلسفة معتنقيها الى الفكر والتأمل فى نشأة العالم ومصيره وفى عظمة الكون ونظام تسييره ، وبين قوله تعالى « أولم يتفكروا فى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء »؟ وقوله تعالى : « ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب » وسائر الآيات القرآنية الصريحة فى أن الاسلام خول العقل الفطرى السليم من شوائب الاوهام كامل سلطانه ولم يشترط للنظر العقلى وجهة معينة ولم يحد له حداً مخصوصاً مقرراً ، بل ترك العقول السليمة حرة لبلوغ الحقيقة المجردة فى العقائد وفى عالم الوجود والتكوين من مبدء وجود العالم الى مصيره (أى معرفة المبدأ والمعاد) حسبما تتطلبه غريزة الشعور الدينى فى الانسان ، وهذا التخويل ان شوهد فى الفلسفة والعلم والحكمة وكان من مقوماتها وهو الذى ضمن لها الاحترام العلم والخلود ودوام الارتقاء فلم يشاهد فى دين من الاديان ما عدى الاسلام ، واعتماد الاسلام على العقل هو الذى حفز العرب والمسلمين الى الجد فى تحصيل العلوم والتنقيب عن المعارف ، والى وضع الفلسفة الإسلامية وكثير من العلوم وابداعها وانشائها . والسر فى ذلك هو انه لا شك فى أن الحياة العقلية أساس طبيعى تستند اليه انواع الحياة العامة وفروع الشؤون الحيوية وهى اساس الرقى والنهوض فكان من شأن الاسلام الذى هو دين الطبيعة والفطرة

والاجتماع ان يشيدها وان يجعل طلب العلم فريضة على معتنقيه .

ولا ريب فى أن كل من يلقى نظرة فاحصة على القرآن الكريم ويتأمل فى آياته الدافعة الى التدبر والتفكير فى شيء عظيم من الجد يتضح له أن هذا الكتاب السماوى الكريم هو اول اسباب تغلغل الفلسفة فى البيئات العربية وهو العامل الأول الذى فتح للعرب باب البحوث الفلسفية المؤسسة على المنطق والتأمل فظهر لهم شيء من هذه البحوث التى لم يكن لهم بها عهد قبل نزول القرآن وكانت هذه البحوث تدور حول علوم الكون وعلوم الدين من توحيد وتفسير وتشريع .

ولا شك أن هذا طليعة سافرة من طلائع الفلسفة ظهرت فى صدر الإسلام وأخذت تنمو وتتزايد الى أن بدىء فى الترجمة عن اليونانية والفرسية والهندية . وكان العربى المسلم يمتاز بذكاء طبيعى وبقوى عقلية دفينة ، ورغبة فى الاطلاع على الجديد فأصبح بعد وقت قصير وريث حضارة الشعوب العريقة فى القدم التى تغلب عليها أو إحتك بها ، وتبع دور الترجمة الطويل بما كان فيه من إنتاج دور الإبتكار والإبتداع المؤسس على الثقافة الإسلامية .

بغداد في أوج مجدها :

فى سنة (١٣٩ هجـ المصادف ٧٦٢ م) باشر المنصور الخليفة العباسى الثانى بناء « بغداد » عاصمته الجديدة على ضفة دجلة الغربية ، وهو موقع قامت به قرية ساسانية بإسم بغداد ومعناه (هبة لله) وفى وادى دجلة والفرات ازدهرت بعض حواضر العالم القديم . واستغرق بناء مدينة (بغداد) أربع سنوات أستخدم فى أثنائها مئة ألف من المهندسين والصناع

والعملة ، وما لبثت أن أصبحت مدينة عظيمة وفى أيام هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) أصبحت بغداد مركزاً للغنى الباذخ والأهمية العالمية ولم يكن قد مضى بعد على تأسيسها نصف قرن ، فوقفت وحدها تضاهى « بزنطية » . وكان مجدها متناسباً مع الامبراطورية التى كانت هى عاصمتها حتى قيل : « لم يكن لبغداد فى الدنيا نظير » .

وظهرت فيها أعظم يقظة فكرية اسلامية ، بل إحدى الحركات الفكرية والثقافية العظيمة فى العالم . ولم يمض على تأسيس « بغداد » ثلاثة أرباع قرن حتى اصبح فى حوزة العرب المسلمين فيها أهم كتب « أرسطو » و « افلاطون » الفلسفية ، ونخبة من كتب الشروح لأهل الفلسفة الأفلاطونية الجديدة ، ومعظم كتب « جالينوس » الطبية ، وطائفة من الكتب العلمية من فارسية وهندية .

ففى عشرات السنين تسنى للعرب المسلمين الوقوف على آثار علمية كان اليونان قد أنفق القرون فى انشائها ، فجاءت الثقافة اليونانية التى امتزجت بالثقافة الاسلامية أشد العوامل تأثيراً فى الحياة العربية والاسلامية ، وأصبح تأريخ الحياة العقلية فى البلاد العربية والاسلامية هو تاريخها الحى الخالد ، وهو الوجه المشرق من التاريخ الذى ينير للإنسانية منهاجها ، ويصف علاجها ويسموا بها ، الى المثل العليا ، وقد بلغ هذا التأثير أوجه فى أيام ، المأمون ، فسمى « بعصر الترجمة الذهبي » ، وذلك لما كان لهذا الخليفة من النزعات الفكرية ، ولحقائق الثقافة الإسلامية التى أخذها من ولى عهده الإمام الرضا على ابن موسى ابن جعفر الصادق إمام المذهب الجعفرى صاحب الحكمة الإلهية التى نشرها على أربعة آلاف تلميذ فملئت الخافقين .

وفى سنة (٢٠٧ هجـ - ٨٣٠ م) أنشأ المأمون « بيت الحكمة » فى بغداد وهو عبارة عن خزانة كتب ، ودار علم ، ومكتب ترجمة ، فكان هذا المعهد من وجوه عدة أعظم المعاهد الثقافية التى نشأت بعد (المتحف الإسكندرى) الذى ظهر بعد النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد وقبل تأسيس (بيت الحكمة) كان بعض النصارى واليهود والمستحدثين من معتنقى الإسلام قد قاموا بتراجم من تلقاء أنفسهم ، أما فى أيام المأمون وخلفائه ، فتمركزت الترجمة فى هذا المعهد الجديد ، ولقد دام عصر الترجمة هذا ما يقرب من قرن إبتداءً من سنة (٧٥٠ م) وكان شيخ المترجمين ، «حنين ابن إسحاق » وقد بلغ ذروة المجد فى عصر مأمون حيث أسند اليه رئاسة (بيت الحكمة) .

وأما المتوكل ، فهو عينه طبيبه الخاص ، ولكنه عاد فحبسه فى بعض القلاع سنة كاملة لأنه إمتنع عن وصف دواء للخليفة يقتل به عدواً ثم أحضره وأعاد عليه القول وأحضر سيفاً ونطعاً ، فقال حنين ، : « قد قلت لأمير المؤمنين ما فيه الكفاية » قال الخليفة : « فانى أقتلك » قال حنين : « لى رب يأخذ لى حقى غداً فى الموقف الأعظم » فتبسم المتوكل وقال : « طب نفساً فاننا أردنا إمتحانك » . ثم سأله « ما الذى منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق الأمر منا » ؟ فاجابه حنين : « شيئان هما الدين والصناعة » أما الدين فانه يأمرنا باصطناع الجميل مع أعدائنا فكيف ظنك بالأصدقاء ، وأما الصناعة فانها موضوعة لنفع أبناء الجنس ومقصورة على معالجتهم ، ومع هذا فقد جعل فى رقاب الأطباء عهد مؤكد بأيمان مغلظة أن لا يعطوا دواء قتالاً لأحد ».

المترجمون:

كثر المترجمون فى العصر العباسى كثرة تجعل إحصاء أسمائهم من الأمور المتعذرة ، ولكننا مع ذلك سنذكر من مشاهيرهم العلماء الآتية أسمائهم ، (١) إبن المقفع (٢) حنين إبن إسحاق « رئيس دار الحكمة المأمونية » (٣) إسحاق ابن حنين (٤) حبيش الأعسم ، (٥) أبو بشر متى ابن يونس (٦) قسطا ابن لوقا (٧) أبو يوسف يعقوب ابن اسحاق الكندى فيلسوف العرب (٨) يحي ابن عدى المنطقى (٩) عيسى ابن إسحاق .

الكتب المترجمة:

ترجم ابن المقفع « منطق أرسطو » وترجم حنين ابن إسحاق شرح « تيمستيوس » على الكتاب الحادى عشر من « ما وراء الطبيعة » وكذا كتاب « المقولات » وكتاب « الطبيعة » وكتاب « الأخلاق » ، ونقل إبنه وتلميذه إسحاق ابن حنين الى العربية من مؤلفات « أرسطو » « ما بعد الطبيعة » وكتاب « النفس » وكتاب « العبارة » وكتاب « الكون والفساد » مع تفاسير مختلفة « للإسكندر الإفروديسى » و « فرفوريوس » و « تيمستيوس » و « أمنيوس » ونقل ابن ناعمة الى العربية شرح « يحي النحوى » على كتب « الطبيعة » الأربعة لأرسطو ونقل « أبو بشر متى بن يونس » من السريانية الى العربية كتابى « البرهان » و « الشعر » .

ونقل فيلسوف العرب « أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندى » الى العربية « الكتاب الثالث عشر من ما وراء الطبيعة » وكتابى « تحليل القياس والبرهان » وشرح « المقولات » ووضع كتابا فى ترتيب كتب « أرسطو » .

وقد أشرف المعلم الثانى « ابو نصر الفارابى » على ترجمة بعض الكتب التى سلف ذكرها . واختصر المنطق على نهج المتكلمين ووضع له مدخلا وشرح « المقولات » و « العبارة » و « تحليل القياس والبرهان » و « الجدل » و « الخطابة » و كتاب « الطبيعة » وكتاب « السماء والعالم » وغير ذلك .

(تنبيه) يجب أن نذكر أن عمل الشارح فى العصور الوسطى انما كان ينطوى على وضع مؤلف علمى أو فلسفى معتمداً فيه على كتاب قديم كأساس وإطار . إذن فشروح (الكندى) ومعاصره (الفارابى) سلسلة كتب تحتوى على آرائهما المبتكرة فى الفلسفة تحمل عناوين كتب « ارسطو » وفلاسفة اليونان . مع تأويل محتوياتها وتعديلها . ولهذا قيل : « ان لقب « الشارح » للكندى فى مستوى لقب « المعلم » لأرسطو وللفارابى » .

فلسفة المترجمين :

لم يكن مترجموا العرب المسلمين مجرد نقلة حملوا تراث الأمم القديمة الى عصرهم لا أكثر ولا أقل كما يزعم المتحاملون ، وانما كانوا بفضل الثقافة الإسلامية والقرآنية أصحاب آراء خاصة وأفكار مستقلة واستنباطات حرة ، وترجيحات مستقيمة من شأنها ان تدرجهم فى عداد الفلاسفة والحكماء المستقلين . أما ما يأخذه عليهم خصوم العروبة والإسلام من أنهم لم يبتدعوا مذاهب فلسفية جديدة . فانه حق بالنسبة الى المترجمين من غير العرب المسلمين فقط . فان الأكثرية الساحقة من هؤلاء التراجمة كانت مسيحية خاضعة لتعاليم الإنجيل والكنيسة التى كانت قد وصلت الى حد بعيد فى اضطهاد الفكر الإنسانى وحصره فى دائرة ضيقة لا يتعداها ، فتأثر المترجمون المسيحيون بهذا الضغط ، ولم يستطيعوا أن يطلقوا

لأذهانهم أعنة التفكير الحر فى ميادين الفلسفة الإبتداعية . وأما ما زعمه بعض مؤرخى الفلسفة من أن أهم الأسباب التى حالت بين المترجمين وبين الإبتداع هو انهم كانوا فى خدمة الخلفاء والأمراء ، وأن هؤلاء كانوا يتملقون الجامدين من الفقهاء والعامة فلم يكن يرضيهم أن يطلق المترجمون الأعنة لأفكارهم فتسير بحرية قد تشوك أولئك الجامدين والمتعصبين من المسلمين ، فهو زعم فاسد . لأن العقيدة الاسلامية الصحيحة المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تجزع من الفلسفة ولا تضطرب من صولتها بل لا تصطدم معها ألبتة . لأن الفلسفة نتيجة العقـــل السليم الذى خوله الاسلام كامل سلطانه ، ولم يشترط فى كتاب الله وسنة رسوله للنظر العقلى وجهة معينة ، ولم يجعل له حداً مخصوصاً مقرراً ، بل ترك العقول السليمة حرة لبلوغ الحقيقة ، والقرآن والسنة هما مصادر التشريع والإستنباط عند الفقهاء ، واذاً فلم يكن الفقهاء فى حاجة الى التملق أو الإسترضاء ، وأما ما نسب الى الشافعى من أنه قال « من احترف الفلسفة فقد تزندق » فلم تثبت صحته . وعلى فرض الصحة فسببه أن قوما من الماجنين الذين لا خلق لهم قد حشروا انفسهم فى زمرة الفلاسفة مع ما اشتهر عنهم من الاستهتار والمروق عن الدين والأخلاق ، فحملوا بعض الفضلاء على أمثال هذه التصريحات ، وفوق ذلك فان أجلاء الخلفاء كالمنصور والمهدى والرشيد والمأمون كانوا أكبر من أن يتملقوا العامة بتأييد ما يعتقدون أنه باطل ، وهدم ما يؤمنون بأنه حق .

أثر الترجمة الى العربية :

اعترف التاريخ بأن الأمة العربية وثبت الى الأمام والرقى بعد الإسلام وثبتين هائلتين : (احداهما) على اثر إشعاع القرآن فى جنباتها

فأنارها بعد ظلمة ، وهداها بعد حيرة ، ونظمها بعد اضطراب ، وفتق أذهان ابنائها بعد ارتتاق لإشتماله على عظائم المعارف الربوبية ، وأمهات العلوم الآلهية ، والجميع فى أنواره منطمسة ، والكل من نوره مقتبسة ، ولأنه اضاف الى لغتها ألفاظاً جديدة ، وأساليب دقيقة وتعبيرات فنية وعلمية لم يكن للعرب عهد بها من قبل وعرب كثيراً من الكلمات الأعجمية ، ففتح بذلك باباً عظيما للثراء اللغوى ، وقبل كل هذا نبه القرآن على وجوب النظر فى الكون العام وفى النفس الانسانية ، وفى الأسباب والمسببات ، والعلل والمعلولات ؛ فكان مصباحاً أنار لمعتنقيه سبيل الحكمة والفلسفة فأخذوا ينتجعونها ويتطلعون اليها فى شوق وشغف حتى فازوا منها بحظ وافر .

نعم هكذا كان فيهم تأثير كتاب الله العظيم الذى يقول فى وصفه العالم الفرنسى مؤلف كتاب « فى الدراسات الدينية » : « كفى هــذا الكتاب ـ يعنى القرآن ـ مجداً وجلالاً أن الأربعة عشر قرناً التى مرت عليه لم تستطع أن تجفف أسلوبه ، بل هو الذى تحدى أعدائه على طول الخط أن يجاروا أقصر سورة منه فى ميدان الفصاحة والبلاغة اللتين كانتا كل ما امتاز به العرب من موهبة فاعلنوا عجزهم وسلموا الراية لصلابة هذا الدين الجديد . وأخذوا يأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه . وهو فى كلتا الحالتين لا ينطق عن الهوى ، ولا يصدر الا عن وحى أو الهام من أحكم الحاكمين وأعلم العالمين بالخير والمصلحة . فكان من الطبيعى أن تقودهم هذه الأوامر الإلهية الى النظام العمرانى والرفعة الإجتماعية ، والكمال الأخلاقى وهذا هو الذى كان بالفعل ، فلم يكد الإسلام يبسط جناحيه على جزيرة العرب حتى رأب صدوعها ، ولم شعثها وجمع متفرقاتها وأخذ يضرب بيد من حديد على كل أسباب الفشل والشقاق من عادات العرب وتقاليدهم

الهمجية الأولى ونشر فيهم روح الديمقراطية والسلام ، وأعلن فيهم أن الاسلام قد ساوى بين رفيعهم ووضيعهم ، وحرم عليهم التمسك بتلك العصبية البربرية ، فلما تغلغلت فى نفوسهم هذه التعاليم خلقتهم خلقاً جديداً . وكونت منهم خير امة صالحة لا للحياة فحسب ، بل لبسط سلطانها ونشر دينها على قارتى ، آسيا ، و ، افريقيا ، وجزء عظيم من قارة (اوربا) ولولا ظروف خاصة ذكرها التأريخ السياسى لإكتسح الاسلام امامه الديانات الأخرى ، ولأظل المعمورة بظلاله الوارف . ه

هذه هى الوثبة الأولى . اما الثانية ، فقد كانت بعد نقل الفلسفة اليونانية والحكمة الهندية والثقافة الفارسية الى العربية .

بهذه كله استنار المسلمون وعلى آثارها وقفوا وبما فيها من خير تهذبوا وتأدبوا . ولكن بعد ان اصلحوها بالمعارف الاسلامية وتعاليم دينهم الحنيف ، اصلاحا جعلها صالحة للحياة والخلود .

عرف العرب المسلمون بفضل هذه الترجمة مبدأ الحياة الفلسفية عند هذه الأمم . وتتبعوا اطوار تفكيراتهم ومذاهبهم ، فكان لهذا التأريخ المرتب بعضه ~~على بعضه~~ على بعض اثر بعيد الغور فى العقلية العربية المثقفة بالثقافة الاسلامية . ولولا نكبة الأمه العربية على أيدى ، التتار ، لشاهد العالم الحديث الآن فى (بغداد) مكتبة حافلة بأهم ما انتجته العقلية البشرية فى جميع أنحاء المعمورة الى عصرهم .

هيأت هذه الترجمة تلك المواهب الكامنة فى رؤوس العرب المسلمين الى البروز فى عالم الواقعيات فبرزت بهيئة ادهشت المؤرخين والباحثين وانتهت الى ايجاد ، فلسفة اسلامية وعلوم عربية ، تخص المسلمين انفسهم ، واصبح عصر الاسلام عصر ابتكار فى الفلسفة والعلوم ، ونظريات جديدة .

«(صورة موجزة من فلسفة الكندي)»

(تمهيد) وقع بعض الباحثين فى الحيرة والإرتباك وخيل اليهم ان (الكندى) لم يزد على علوم اليونان وفلسفتهم جديداً ، وأنه قد هوى فى حضيض الأسلوب الغامض الذى يحول بينه وبين الجدارة بالخلود ، وأن النزر اليسير الباقى من كتبه لايعطى صورة واضحة عن فلسفته ، ولكننا عرفنا (فلسفة الكندى) من كتبه ومؤلفاته ، ومن إلهاماته المسجله فى مؤلفات معاصره ومستودع أسرار فلسفته . وهو « الفارابى » المعلم الثانى ، واقتفى « ابن سينا » أثر الفارابى فى ذلك ، وتبعه كثيرون من ابرع المؤلفين فى الفلسفة وتاريخها العام من العرب والمسلمين . فلا نشك فى أن « الكندى » عاش فى القرن الثالث الهجرى ، وأتم ترجمة الفلسفة اليونانية والمعارف الفرسية والثقافة الهندية ، وفرغ من شرحها والتعليق عليها بما يدل على أنه هضمها ونضج فى فهمها ، وبرز فيها تبريزاً يستوجب الإحترام والاجلال والخلود . فاصبح فاضل دهره وواحد عصره فى معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ثم استعان بثقافته الاسلامية والقرآنية على تعديلها وتقويمها وتصحيح أخطائها فأبدع مذهباً مستقلا فى الفلسفة إبتناه على اساس استعمال البراهين المنطقية والحجج النظرية التى ينتهى أول قضاياها الى البديهيات المسلمة . فظل مصدر إلهام أسمى الأفكار وأعلى النظريات الى معاصريه ومن جاء من بعده من فلاسفة العرب والاسلام ، ولُقب بحق (أول فلاسفة العرب والإسلام » وهو أول فيلسوف عربى واسلامى حاول التوفيق بين آراء (أفلاطون) و (ارسطو) ، واقتفى أثره «الفارابى» فى ذلك ثم « ابن سينا » فألف كتاب « الشفاء » فى الحكمة المشائية ، ثم

كتاب « الاشارات » فى الحكمة الإشراقية ، و « الكندى » حكيم آلهى وعقلى وتأكيدى وخلق ودينى وقائل بوجود المجردات والموجودات الغير المحسوسة ومعتقد بشرف الإنسانية واحترام النواميس الفطرية .

ثقافة قرآنية تاريخية :

قرأ (الكندى) فى القرآن الكريم قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم الخ » فتحير الكندى فى المتشابهات فقال له بعض تلامذته : « إنما يعرف القرآن من خوطب به » وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، « وأهل البيت أدرى بما فى البيت » وعندنا فى سامراء رجل من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو حفيده وسبطه الإمام الحسن العسكرى وقد أجبره الخليفة على الإقامة فى سامراء ، فاسئله عن تفسير الآيات وتأويل المتشابهات . فاستحسن (الكندى) كلامه وهكذا ساعده التوفيق الآلهى على تحصيل الثقافة القرآنية الكاملة من الامام الحسن ابن على ابن محمد ابن على بن موسى ابن جعفر ابن محمد ابن على ابن الحسين الشهيد ابن على بن ابى طالب امير المؤمنين وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه منقبة تاريخية تفرد بها الكندى ولا يشاركه فيها أحد من فلاسفة العرب والمسلمين .

«(فلسفة الكندي الآلهية)»

يرى (الكندى) أن العالمَ - أى ما سوى الله - كله حادث ومخلوق لله الواحد الأحد وهو المبدع الأول وعلة العلل ، وأن سلسلة الموجودات الامكانية التى أفاضها المبدء الأول بقدرته الأزليـة وبعلمـه العنائى بالنظام الأحسن تبتدء من أكملها وأتمها وجوداً وهو العقل المجرد من المادة ذاتاً وفعلا فهو ليس ماديا ولا زمانياً بل هو فوق المادة وفوق الزمان ، خلق الله العقل الأول مزوداً بالقدرة على التأثير فى ما يليه ; وهو العقل الثانى وعلى تصوير مادة المخترعات الفلكية كما أراده الله تعالى ، وتنتهى سلسلة العقول الطولية - التى جعـل الله كل سابق منها علة امكانيـة للاحق - الى العقل العاشر المدبر فى عالم التكوين المادى بامر الله تعالى . والعقول العشرة الطولية كلها جواهر مجردة عن المادة ومستغنية عنها فى ذواتها وفى أفعالها ولكن النفس جوهر مجرد عن المادة فى ذاتها ومحتاج اليها فى أفعالها ، وعالم العقول يسمى (عالم الإبداع) المنزه عن المادة والزمان ; والعقول العشرة هى (المرتبة الأولى) فى سلسلة الوجود الامكانى المرتب على نظام الأشرف فالأشرف ، وتسمى العقول العشرة (المبدعات) كما تسمى (المرتبة الثانية) المخترعات ، وهى موجودات مادية لا تقترن بالزمان وهى الأفلاك والفلكيات ونفوسها الكلية ، والموجودات المثالية ، وعالمها (عالم الإختراع) والاختراع فى مصطلح الفلاسفة ، ايجاد شيء لا فى زمان عن مادة لطيفة غـــير مادة المكونات ، تسمي بـ (الأثير) .

وأما (المرتبة الثالثة) فهى (المكونات) وعالمها (عالم التكوين) وهى موجودات مقترنة بالمادة والزمان ، وهى ، العناصر ، والطبع ، والصورة الجسمية ، والهيولى ، ـ العنصر المادى ـ التى هى خاتمة القوس النزولى للوجود والعنصريات من الأجسام ، والمواليد الثلاث ، أى النبات ، والحيوان والإنسان .

وفى رأى (الكندى) للنبات نفس نباتية مع قواها ، وللحيوان نفس حيوانية مع قواها ، والانسان مخصوص بالنفس الناطقة التى هى مجردة عن المادة فى ذاتها وأما فى أفعالها فهى محتاجة الى البدن والجوارح ؛ وللنفس الناطقة الهابطة من عالم الملكوت الى عالم الملك (قوتان) (إحداهما) قوة نظرية بها تستكمل الفيض الذى تأخذه من عالم الملكوت ، وللنفس بحسب هذه القوة العلامة مراتب أربع وهى (العقل الهيولانى) فا (لعقل بالملكة) و (العقل المستفاد) و (العقل بالفعل) ووجه الضبط) أن مراتب النفس من بداية الاستكمال الى نهايته إما استعداد الكمال أو نفس الكمال ، والاستعداد ، (إما) استعداد محض فهو (العقل الهيولانى) ، تشبيهاً فى خلوه عن جميع الصور العقلية الكمالية بالهيولى الاولى الخالية فى ذاتها عن جميع الصور الجسمية ، و (إما) استعداد الاكتساب ، فهو (العقل بالملكة) وهو عقل استعداد كسب النظريات المعقولة من أوليات معقولة ، بالفكر أو بالحدس ، و (إما) استعداد الاستحضار ، وهو (العقل بالفعل) وهو عقل استعداد استحضار النظريات المكتسبة المخزونة متى شاء بمجرد الالتفات اليها من دون حاجة الى تجديد النظر ، وأما مرتبة (نفس الكمال) فهى بعد انتهاء درجات الاستعداد الى درجة الفعلية الكاملة فمتى صارت النظريات حاصلة لدى النفس واستحضرت المعلومات مشاهدة إياها

مستفادة من العقل الفعال يقال لها (العقل المستفاد)

و (الثانية) قوة عملية ، بها تستنبط النفس واجبها فيما يجب أن تفعل وللنفس بحسب هذه القوة العمالة أيضاً أربع مراتب وهي « التجلية » « فالتخلية » « فالتحلية » « فالفناء » . و [التجلية] : تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النبوية والنواميس الآلهية ، و [التخلية] تهذيب الباطن عن الأخلاق السيئة والملكات الردية ، و [التحلية] أن تتحلى النفس الناطقة المهذبة بالفضائل النفسية ومكارم الأخلاق ، و [الفناء] هو الوصول في العمل الى ما ينطبق عليه الاعتقاد بمراتب التوحيد من توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد الآثار .

هذه صورة مصغرة من بعض آراء الكندي في الفلسفة ، ولكن بعض مؤرخي الفلسفة وقع تحت تأثير دعايات أعداء [الكندي] فلا يميل الى الأخذ بالرأي القائل بأن [الكندي] أبدع مذهباً مستقلا في الفلسفة .

أعداء الكندي :

كان للكندي أعداء كثيرون ، شأن كل العباقرة المبرزين في العلوم والفنون ، وقد استطاعوا أن يضروه في سمعته العلمية والدينية وفي حياته الخاصة ، فمن هؤلاء الأعداء : أبو معشر المنجم ، جعفر بن محمد بن عمر البلخي قال « ابن النديم » : « كان ابو معشر أولاً من أصحاب الحديث ؛ وكان يضاغن الكندي ويغري به العامة ، ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة فدس عليه الكندي من حسن له النظر في علوم الحساب والهندسة فدخل في ذلك فلم يكمل له فعدل الى النجوم وانقطع شره عن الكندي وقيل أنه

أصبح أحد تلاميذه الممتازين ويقال : أنه تعلم النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره وكان فاضلا حسن الاصابة وضربه المستعين العباسي اسواطاً لأنه أصاب فى شيء خبره بكونه قبل وقوعه ، فكان يقول: (أصبتُ وعوقبت)

ومن (أعداء الكندى) العالمان العلمان محمد وأحمد إبنا موسى بن شاكر ، اللذان دسا للكندى عند المتوكل ، وساعدهما أولاً ما نسب الى الكندى من الآراء الإعتزالية ، وثانياً حماقة المتوكل وتسرعه . فضربه وأرسل إلى منزله من إستولوا على كتبه ؛ ثم ردت اليه كل هذه الكتب بعد زمن كما ذكر ذلك ابن أبى أصيبعة فى قصة طويلة ولكن فاته أن غضب المتوكل على الكندى كان لأجل اتهامه بالتشيع حيث أخبره المغرضون ان الكندى تعلم من الإمام الحسن العسكرى تفسير القرآن الكريم وأصول الإسلام.

ومن الذين تأثروا بكتابة أعدائه المعاصرين له (ابو القاسم) صاعد بن أحمد الذى حمل على الكندى فيما بعد فى كتاب « طبقات الأمم » ووصف كتبه بأنها لا تفيد المطلعين عليها لكونها تشتمل على كليات غامضة ليس فيها تحليل للجزئيات . ولكون تراكيبها غامضة معماة لا يستفيد منها الا من مرن على دراسة المنطق حتى أصبح عنده مقدمات عتيدة تمكنه من فهمها ، ويضيف الى هذه المعانى قوله : « ولا أدرى ما حمل يعقوب على الإضراب عن هذه الصناعة الجليلة ، هل جهل مقدارها أوضن على الناس بكشفه ؟ وأى هذين كان فله نقص فيه ، وله بعد هذا رسائل كثيرة فى علوم جمة ظهرت له فيها آراء فاسدة ، ومذاهب بعيدة عن الحقيقة».

ويعلق « ابن ابى أصيبعة » على رأى هذا القاضى المغرض أو المقلد فى الجزء الأول من كتاب (عيون الأنباء) بقوله : « أقول : هذا الذى قد قاله القاضى « صاعد » عن « الكندى » فيه تحامل كثير عليه ، وليس

ذلك مما يحط من علم « الكندى » ولا مما يصد الناس عن النظر فى كتبه والانتفاع بها .

وعلى الرغم من هذه الدسائس التى حاكها أعداء (الكندى) ، فان اسمه ظل نجما ساطعاً فى تاريخ الفلسفة العربية ، وبقى إمام الفلاسفة وأول المتبحرين فى الحكمة » .

وقال بعض المغرضين : « كان « الكندى » يقول بوحدة واجب الوجود وبساطة وجوده . ومعنى هذا انكار الصفات بتاتا كما يقول المعتزلة لأنها تجر الى تعددالقدماء الذى هو لازم مذهب الأشاعرة ، فتأثر « الكندى بالمعتزلة وصرح بأن الله قادر بذاته عالم بذاته وهلم جراً . ولا شك أن [أرسطو] قد سبق المعتزلة الى نفى جميع الصفات عن البارى » .

وزاد عليه بعض آخر بقوله : « ان انكار الصفات بتاتا انكار لنصوص القرآن العظيم ، وخروج عن الإسلام واتجاه الى الكفر والإلحاد » .

أقول : « ان المغرضين اعترفوا بأن الكندى قائل بوحدة واجب الوجود وبساطة وجوده ، وأن الله قادر بذاته وعالم بذاته ولم يتفطنوا أن الكندى يقول ايضاً : (ان واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات ، فصفاته الحقيقية كالحياة والبقاء والعلم والقدرة وغيرها كلها صفات واجبة وذاتية وليست من قبيل صفات الممكنات زائدة على الذات .

وهذا الرأى للكندى اتجاه الى التوحيد الكامل وهو توحيد الذات وتوحيد الصفات . وليس فيه اتجاه الى الإلحاد وانكار الخالق العظيم فالمعترضون على الكندى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها . فيحق عليهم قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

نتيجة البحث في صفات الله تعالى

لا يخفى أن معرفة صفات الله تعالى من أهم مقاصد الفلسفة واصعب مباحثها ، والعارفون بصفاته الحقيقية هم الراسخون فى العلم والموحدون الحقيقيون والمعتقدون بانه تعالى لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ولا فى آثاره ، والقاصرون عنها قالوا بالتشبيه أو بالتعطيل وعجزوا عن الوصول الى التوحيد الكامل ، فقالت « الأشاعرة » بزيادة صفاته الحقيقية على ذاته [تعالى وتقدس] لزعمهم أن صفات الواجب جل شأنه على غرار صفات مخلوقاته الممكنات ومن سنخها ، ولازمه القول بالقدماء الثمانية ونتيجته « التشبيه » ، « والمعتزلة » أنكرت ذلك وقالت : ان ذاته تعالى نائبة مناب الصفات فيترتب على مجرد ذاته ما يترتب على الذات مع الصفة ، وقالوا : خاصية العلم مثلا اتقان الفعل ، وهى تترتب على نفس ذاته بلا صفة علم حقيقية ، فالمعتزلة فى الحقيقة نافون للصفات ، فيلزمهم أن لا يكون اطلاق العالم وغيره عليه تعالى على سبيل الحقيقة فيكون عالماً قادراً حياً سميعاً بصيراً بالمجاز ولازمه صحة سلبها عنه ، وهذا يؤدى الى « التعطيل » تعالى عن ذلك علواً كبيراً ومنشأ غلط المعتزلة ان الصفة هى المعنى القائم بالغير فكيف يكون ذاتاً مستقلة ؟ ولم يتفطنوا الى ما قررته الفلسفة الاسلامية ، من ان الواجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات ، وان صفاته الحقيقية واجبة وذاتية ، ولا يمكن معرفة كنهها كما لا يمكن معرفة كنه ذاته المقدسة ، وانما تعرف ببعض الوجوه وليست هذه الصفات من سنخ صفات الممكنات المخلوقة فذاته لا تماثل

ذات شيء من الموجودات ، وصفاته لا تشابه صفات شيء من الممكنات ، فلله تعالى صفات ذاتية اسمائها العالم والقادر والحي والقيوم والسميع والبصير وغيرها وإطلاقها على الله تعالى على سبيل الحقيقة ولا يصح سلبها عنه فانه منزه عن التشبيه والتعطيل وهذا هو رأى « الكندى » فى فلسفته الآلهية ، (ونتيجة) هذا الرأى توحيد الذات « لا إله إلا الله » وتوحيد الصفات « لا هو إلا هو » وتوحيد الأفعال « لا حول ولا قوة إلا بالله » وتوحيد الآثار « لا مؤثر فى الوجود إلا الله » ، وهذه كلها عقيـــدة « الإمامية » إتخذوها من « باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم امير المؤمنين على ابن ابى طالب » فانه أوضحها فى خطبه وفى بعضها يقول : « أول الدين معرفتـه ، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الأخلاص له ، وكمال الأخلاص له نفى الصفات عنـه ، لشهادة كل صفة أنها غـير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار اليه ، ومن أشار اليه فقده حدّه ، ومن حدّه فقد عدّه ، ومن قال « فيمَ ؟ فقـد ضمّنه ، ومن قال « علامَ ؟ فقد أخلى منه . كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة ، بصير إذ لا منظور اليه من خلقه ، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقـده » (ومحصله) أن أساس الدين معرفة الله والأذعان بوجوب وجوده ، ولازم هذا الإذعان الإعتقاد بتوحيده لما ثبت فى العلوم من أن واجب الوجود لا يتعدد ، ولا يكمل توحيده إلا بالإخـلاص له فى الباطن والظاهر ، وتنزيهه من كل مغاير ، واستغراق القلب فى التوجه اليه واستشراق نوره

ولا يكون هذا الإخلاص كاملا حتى يكون معه نفى الصفات الممكنة المحدثات ، والزائدة على الذات . والدالة على مغايرة الموصوف ، والمنافية لوجوب وجوده وبساطة ذاته ، ومقصوده عليه السلام من الصفات المنفية بالإخلاص ، الصفات الممكنة المحدثات ، وقد صرح بهذا فى خطبه وكلماته (منها) خطبته فى (التوحيد) وفيها يقول : « لا يقال كان بعد أن لم يكن ، فتجرى عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل . ولا له عليها فضل . فيستوى الصانع والمصنوع ، ويتكافأ المبتدع والبديع .

وقال عليه السلام فى خطبة أخرى : « الأحد بلا تأويل عدد ، والخالق لا بمعنى حركة ونصب ، والسميع لا بأداة ، والبصير بلا تفريق آلة ، والشاهد لا بمماسة ، والبائن لا بتراخى مسافة ، والظاهر لا برؤية ، والباطن لا بلطافة ، بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها . وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله . ومن قال : « كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال « أين ؟ فقد حيزه ، عالم اذ لا معلوم ، ورب ، اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور .

وأشار الامام عليه السلام الى صفاته الذاتية وأن كنهها لا يدركه انسان وقال فى خطبة له : « بل ان كنت صادقا أيها المتكلف لوصف ربك فصف جبرائيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين فى حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم أن تحدوا أحسن الخالقين . فانما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ومن ينقضى اذا بلغ حده بالفناء فلا اله الا هو أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور .

(الحلقة الغالية)

لا غرو فى إختلاف المؤرخين القاصرين أو المقلدين فى فلسفة « الكندى » ولا فى اختلاق بعض الباحثين المغفلين قصصاً مدسوسة على « الكندى » من أعدائه للتشهير بقيمته العملية كما شهروا بقيمته العلمية. فروى « ابن أبى أصيبعة » للكندى وصيةً زعم أنه أوصى بها ابنه ، تدل على أنه كان شديد البخل الى حد الشحّ المغالى الذى لا يمنع صاحبه من الاحسان فحسب . بل يحول بينه وبين الانفاق على نفسه . ومن هذه الوصية فى زعمه قوله « قول لا ، يصرف البلا . وقول نعم يزيل النعم والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوس فإن أخرجته فر والناس سخرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ، ومن الواضح أن من يتبحر فى الفلسفة اليونانية ويدرس الحكمة الهندية المغالية فى الزهد والاستخفاف بالحياة المادية والعلوم والآداب الفرسية ويتقن الثقافة القرآنية ومكارم الاخلاق الاسلامية دراسة ذات أثر فعال كدراسة « الكندى » إياها لا يمكن أن يكون فى أخلاقه العملية شحوحاً الى هذا الحد الذى رموه به أعداؤه ومقلدوهم .

وانما التعجب فى أن تاريخ الفلسفة العام انتقل من العصرين الأغريقى والمسيحى الى العصر الحديث قافزاً من القرن الرابع الميلادى الى القرن السابع عشر ولم يعبأ بالعصر الاسلامى ومن الغريب كل الغرابة اجماع مؤرخى الفلسفة من الغربيين على الاغضاء عن « الفلسفة الأسلامية » التي هي حلقة قيمة غالية من سلسلة التفكير الانسانى والحياة العقلية البشرية

حيث أجمعوا على أن المدرسة الاسكندرية وهي « الافلاطونية » الحديثة كانت آخر مصباح شع نوره على العقلية البشرية ثم خبا فجمد بخبوه الذهن الأنساني جموداً طال مداه أكثر من اثنى عشر قرناً اى من القرن الرابع الميلادى الى نهوض « ديكارت » و « باكون » فى القرن السابع عشر واعتذر عنهم بعض الشرقيين بانهم عنوا عدم الأبداع والابتكار فى الدور الاسلامى لأن الفلسفة الاسلامية لا تزيد على أنها نظريات يونانية بحتة ولذلك نقرأ فى الكتب الغربية « أن العالم مدين بحرية الفكر لليونان وأن فضل العرب لم يكن الا نقل الثقافة اليونانية وتسليمها الى أوروبا وأن العرب والمسلمين لا نصيب لهم من العلم إلا ترجمة كلام اليونانيين وتقليدهم فى أهوائهم وأن العلوم الإسلامية مؤسسة منذ نشأتها على علوم اليونان وأفكار اليونان ، بل على أوهام اليونان . « أقول » : ان منشأ هذه المزاعم والأوهام هو جهلهم بـ (الفلسفة الإسلامية وكيفية نشوءها وارتقائها وغفلتهم عن أن الدور الإسلامى من أهم أدوار الفلسفة والتفكير البشرى ولم يكن انتاج هذا الدور منحصراً فى احياء بعض النظريات القديمة بل كان عهد الابتكار والابداع والنظريات الجديدة القيمة باعتراف الغربيين ، وهل يتصور ابتكار أو ابداع أعظم مما صدر من فيلسوف الاسلام ومجدد الفلسفة وشارح كتاب (الاشارات) تأليف (ابن سينا) « الخواجة نصير الدين محمد بن الحسن الطوسى » فى القرن الثالث عشر الميلادى ؟ من نقض القاعدة اليونانية القديمة وهى « الواحد لا يصدر منه الا واحد » التى كانت آية ثابتة فى الفلسفة اليونانية وقاعدة مسلمة فى جميع أدوار الفلسفة الى عصره وكانت مبتنية عليها أسس (الهيئة القديمة) والمباحث الفلسفية الكثيرة كمباحث العقول العشرة وما يتبعها التى ضخمت

بها الأساطير واتسع فيها نطاق الكتب الفلسفية والرياضية فانهار بنقضها أساس الهيئة القديمة قبل ولادة « كوبيرنيك » و « جاليليه » بعدة قرون واعجب ما فى الأمر هو أن « الفيلسوف الطوسى » اتخذ من ملاك برهان اثبات القاعدة اليونانية المذكورة دليلا على نقضها .

وهل يوجد ابتكار وابداع أبدع من نظرية (الحركة الجوهرية) التى هى أساس مبدء التطور والتحول وناموس النشوء والإرتقاء بأصح المعانى وقد اكتشفها (صدر الفلاسفة المتألهين محمد بن ابراهيم) فى القرن السادس عشر الميلادى . وقررها على أساس برهانى متين واثقاً أنها حقيقة راهنة ، واتخذ منها برهاناً على اثبات الصانع ودليلا على حدوث العالم ، وكان ذلك قبل ثلاثمأة سنة من ولادة « دارون » فى سنة ١٨٠٩م وزملائه الذين نسبت اليهم هذه النظرية التى فسروها بمعنى محدود قاصر لا يساعد عليه برهان ولا تدعمه تجربة صحيحة ، فاتخذ منها « شبلى شميل » وغيره سبيلا الى الإلحاد وانكار الصانع . لأنهم لم يصلوا الى حقيقتها الصحيحة البرهانية ، وقد كان « دارون » نفسه معترفاً بأنه لم يصل الى حقيقتها ، وبأن آرائه تخمينيـة وأن نظرية [نشأة الأجناس بواسطة الانتخاب الطبيعى] انما بنيت على مجرد الظن بل كان عالماً بأنه سوف يتضح فساد بعضها فقال فى كتاب « أصل الانسان » : ان كثيراً من الآراء التى بسطتها تخمينية للغاية ولا أشك فى انه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكننى قد أوضحت الأسباب التى ساقتنى الى التمسك برأى دون رأى اه .

وقد صح تنبؤه اذ اثبتت التجارب الحديثـة فساد نظريتـه بالمعنى التى فسرها به ، وابلاها التفكير الحديث ، واتفق العلم والمشاهدة على بطلانها ، وفندتها كبار الفلاسفة الروحيين واعلام المفكرين وجهابذة

العلماء المتضلعين واثبتوا ان ما يسمونه « الانتخاب الطبيعى » و « قانون التطور النوعى » ما هو الا ضرب من ضروب الخيال . ولكن شاءت شرذمة من الذين يزعمون لأنفسهم الاستنارة فى هذا القرن ان يتباهوا عجباً وتيهاً بالانتصار لهذه النظرية المحرّفة التى نبذها اصحابها خجلا منها وترفعاً عن نسبتها اليهم .

هذا مضافاً الى ان جماعة من فلاسفة العرب والإسلام امثال « إبن مسكويه » و « ابن خلدون » المنسوب الى قبيلة (كندة) و (أصحاب إخوان الصفاء) سبقتهم أيضاً إلى القول بنظرية التطور بالمعنى الصحيح ، ولذلك قال « دريبر » فى كتابه « المنازعة بين العلم والدين » : (إن مذهب النشوء والإرتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً كان يُدرس فى مدارس العرب والمسلمين وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى أبعد مما وصلنا اليه بتطبيقه على الجامدات والمعادن أيضاً ا ه

ثم كيف يجوز اغضاء المؤرخ عن الدور الإسلامى وقد نبغ فيه أول فلاسفة العرب والإسلام « أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى » المعلم العربى الأول ، وألف ثلاثمائة وخمسة عشر كتابا ورسالة ترُجم طائفة منها الى اللاتينية فى (١١١٤ - ١١٨٧ م) . فكان لها أثر عميق فى ثقافة الشعوب اللاتينية وتقدمها العلمى ووضع الكندى بذرة الفلسفة الاسلامية بإلهاماته الى معاصره وهو النابغة المعلم الثانى « أبو نصر الفارابى » الذى ألف مائة وثمانية وعشرين كتابا فى الفلسفة وسائر العلوم على أسلوب تفهيم المعانى الجزلة بالألفاظ السهلة ، أحدها كتاب « التعليم الثانى » الذى لخص فيه تراجم الفلسفة اليونانية وهذبها تهذيباً جعلها منتجة ، وصار كتابه « إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها » أساساً لوضع دوائر المعارف

الأوروبية .

وكيف ترى الفلسفة الإسلامية العربية بأنها نظريات يونانية ؟ وقد صرح النابغة رئيس الفلاسفة « أبو على الحسين بن عبدالله الشهير بابن سينا » فى كتابه « الحكمة المشرقية » بأنه قد وصله من غير جهة اليونانيين علوم ؛ وعبر عن أتباع المشائين من اليونانيين بالخشب المسندة ؛ ووصفهم بأنهم لا يشكون فى آراء . أرسطاطاليس » وما أورثهم اليونانيون ويشكون فى النهار الواضح ، ونعتهم بالعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين والظانين أن الله لم يهد الا اياهم ، ولم ينل رحمته سواهم » .

وأخذ الرئيس « ابن سينا » فى تمحيص آراء (أرسطاطاليس) واستدراك أخطائه ، مع اعترافه بفضله وأن صنيعه أقصى ما كان يمكن فى عصره ؛ ثم ابتدأ (ابن سينا) بمحاكمة « أرسطاطاليس » وأتباعه المشائين ، وشرع فى تنقيح آراء اليونانيين ، وقضى لهم وعليهم واثقاً بصحة قضائه العدل ؛ وحكمه بالحق ، ومصرحاً بأنه لم يحاول الحكم عليهم واعلان الحق ضدهم فى أول أمره ، بل تريث طويلا لكى لا يبقى مجال فى صحة حكمه ، ولم يتربع منصة الحكم والقضاء الا بعد أن أحاط فى ريعان حداثته بجميع ما أورثه اليونانيون من العلوم بدقة لا مزيد عليها ، وذكر (ابن سينا) ايضاً أنه كان فى أوائل ايامه يتعصب لليونانيين ويغطى كثيراً من خطاياهم بأغطية التغافل ولم يجاهر بمخالفتهم الا فى الشيء الذى لم يمكن الصبر عليه حتى طالت المدة ونضج فكره ، وأحاط بعلوم غير اليونانيين أيضاً وانتهى أمره الى حيث وصفه (ابن سينا) نفسه بالعبارة الآتية : « واذا وجدنا صورتنا هذه فبالحرى أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا به واستدركناه ، ولاسيما فى الأشياء التى هى الأغراض الكبرى والغايات

القصوى التى اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات ، ولما كانت الصورة والقضية على هذه الجملة أحببنا ان نجمع كتاباً يحتوى على أمهات علم الحق الذى استنبطه من نظر كثيراً وفكر ملياً (يريد به نفسه) ولم يكن من جودة الحدس بعيداً ، وما جمعنا هذا الكتاب (يعنى كتاب الحكمة المشرقية) لنظهره الا على انفسنا - أعنى الذين يقومون مقام انفسنا - وأما العامة من مزاولى هذا الشأن فقد اعطينا فى كتاب « الشفاء » ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم اهـ.

ووصف « ابن سينا » كتابه بالعبارة الآتية :

« فقد نزعت الهمة بنا الى ان نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة او إلف . ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما الفه متعلموا كتب اليونانيين إلفاً عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب الفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين الخ

هذا كله مضافاً الى ان الإكتشافات العربية والعلوم المبتكرة وابتداع الأساليب فى العصر الإسلامى مما اعترف به المنصفون من الغربيين قال العالم الامريكى الأستاذ « دريبر » فى كتابه [المنازعة بين العلم والدين] ما نصه : « قد كان تفوق العرب فى العلوم ناشئاً من الأسلوب الذى توخوه فى المباحث ، فانهم قد تحققوا ان الأسلوب العقلى النظرى لا يؤدى الى التقدم ، وان العمل فى وجدان الحقيقة يجب ان يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ومن هنا كان شعارهم فى ابحاثهم الأسلوب التجريبى والدستور العملى الحسى ، وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية ادوات ومعدات لعلم [المنطق] ، وقد يلاحظ المطالع لكتبهم العديدة على الميكانيا [الأيدروستاتيك] [علم توازن السوائل وضغطها على جدران

اوعيتها] ونظريات [الضوء والإبصار] انهم قد اهتدوا الى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات ، [هـذا الذى قاد العرب المسلمين الى ان يكونوا اول الواضعين لعلم [الكيمياء] والمكتشفين لعدة آلات : للتقطير والتصعيد والإسالة « إسالة الجوامد ، والتصفية الخ وهذا بعينه هو الذى جعلهم يستعملون فى أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والأصطرلابات « هى آلات لقياس أبعاد الكواكب » وهو ايضاً الذى بعثهم لاستخدام الميزان فى العلوم الكيماوية ، وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته ، وهو الذى هداهم لعمل الجدول عن الأوزان النوعية للأجسام ، والأزياج الفلكية « هى جداول تعرف منها حركات الكواكب » مثل التى كانت فى « بغداد ، وقرطبة ، وسمرقند ، وهو ايضاً أوجد لهم هذا الترقى الباهر فى الهندسة وحساب المثلثات ، وهو أيضاً الذى هم بهم لإكتشاف « علم الجبر » ودعاهم لإستعمال الأرقام الهندية ، ولقد كتبوا فى كل فن وفى كل علم كالتاريخ والشريعةوالسياسة والفلسفة وتراجم الرجال وتراجم الخيول والإبل ، وقد كانت الكتب الزاخرة بالمعلومات التى تصلح لأن تتخذ مادة كثيرة جداً فى الجغرافيا والاحصاءآت والطب والتاريخ وقواميس اللغة ، وكان لديهم « دائرة معارف علمية » ألفها محمد أبو عبـــدالله ، وكان للعرب ذوق دقيق فى صنع الورق النظيف الناصع البياض وفى اعطاء المداد الألوان المختلفة وفى زخرفة وجوه الكتب بتشبيك تلك الألوان المختلفة من المداد والإبداع فى تنسيقها وتذهيبها على صور شتى .

وكانت المملكة الاسلامية غاصة بالمدارس والمكتبات ، وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة التى فاقت المملكة الرومانية كثيراً

مرصد فى (سمرقند) لرصد الكواكب ، وكان يقابله فى الطرف الآخر مرصد « جيرالد » فى الأندلس ، ولو أردنا أن نستقصى كل نتائج هذه الحركة العلمية العظمى لخرجنا عن حدود هذا الكتاب ، فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة لديهم » .

ثم قال : « الفلكيون من العرب قد إهتموا أيضاً بتحسين آلات الأرصاد وتهذيبها ، وبحساب الأزمنة بالساعات المختلفة الأشكال ، والساعات المائية والسطوح المدرجة الشمسية ، وهم أول من استعمل البندول « رقاص الساعة » لهذا الغرض ، (أما فى العلوم التجريبية) فقد اكتشفوا (الكيمياء) وبعضاً من محلولاتها الشهيرة ، حمض الكبريت وحمض النتريك ، والكحول « استخدم العرب علم الكيمياء فى الطب ، لأنهم أول من نشر علم تحضير العلاجات ، والأقرباذينات ، واستخراج الجواهر المعدنية .

« أما فى علم الميكانيكا » فانهم عرفوا وحددوا قوانين سقوط الأجسام وكانوا عارفين كل المعرفة بعلم الحركة ، « أما فى علم الأيدروستانيك » فقد كانوا أول من عمل الجداول المبينة لضروب الأوزان النوعية وكتبوا أبحاثا عن الأجسام السابحة والغائصة تحت الماء ؛ « أما فى نظريات الضوء والإبصار » فقد غيروا الرأى اليونانى الذى مقتضاه أن الابصار يحصل بوصول شعاع من البصر الى الجسم المرئى وقالوا بعكس ذلك أى أن الإبصار يحصل بوصول شعاع من المرئى الى العين ؛ وكانوا يعرفون نظريات « انعكاس الأشعة وانكسارها » وقد اكتشف « الحسن » الشكل المنحنى الذى يأخذه الشعاع فى سيره فى الجو ، واثبت بذلك انا نرى القمر والشمس قبل ان يظهرا حقيقة فى الأفق ، وكذلك نراهما فى الغرب بعد ان يغيبا بقليل .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جلياً بالتقدم الباهر الذى نالته الصنايع فى عصرهم ، فقد استفادت منها فنون الزراعة فى اساليب الرى والتسميد وتربية الحيوانات ومن النظامات الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الأرز والسكر والبن ، وقد انتشرت المعامل والصنايع لكل نوع من انواع المنسوجات كالصوف والحرير والقطن وكانوا يذيبون المعادن ويجرون فى عملها على ما حسنوه وهذبوه من صنعها وسبكها ، وانا لندهش حين نرى فى مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم فى هذا العصر ، ومن ذلك ان مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذى يعتبر مذهباً حديثاً كان يدرس فى مدارسهم وقد كانوا ذهبوا منه الى مدى ابعد مما وصلنا اليه وذلك بتطبيقه على الجامدات والمعادن ايضاً » انتهى ما اردنا نقله من كلام « دريبر » .

§ § §

(الغموض منشأ الغلط)

اظن ان الذى اوقع المؤرخين فى الغلط هو ان للفلسفة الإسلامية اسلوبا معقداً اتخذته من الفلسفة اليونانية وهو انها مصوغة فى طلاسم من الرموز لا يمكن حلها وفهمها لغير واضعيها او الذين يدرسونها بطريقة تنتهى اليهم من ذوى العقول الممتازة . ولا يمكن الوصول الى ناحيتها المغلقة بمجرد معرفة اللغة العربية او بعض قواعد العلوم ، ولذلك حينما تذكر كلمة « فلسفة » يقترن بها اول وهلة عمق التفكير وعسر الفهم ، ولطالما اعرض جمهور المتعلمين عن الفلسفة لا لشيء الا انهم ينظرون اليها نظرهم الى شيء عسير الفهم بعيد الغور يكد الذهن ويستنفد مجهوداً ووقتاً طويلا .

فقد روى « ابن ابى اصيبعة » ، أن فيثاغورس كان يرمز الحكمة وذكر عدة من الغازه الفلسفية ، وبلغت كتب « هرقليطس » من غموض الأسلوب والتعقيد حداً تكاد تستعصى معه الى الأفهام حتى لقب بالغامض تارة وبالمظلم اخرى ، وقال « سقراط » : ان ما فهمه من كلامه قيم عظيم وما لم يفهمه يجب ان يقاس على ما فهم ، وكان « سقراط » ضناً بالحكمة يطلب دائماً الى كل تلاميذه ان يعنوا بنقش المعارف الفلسفية فى اذهانهم بدل حفظها فى الأوراق وتسجيلها فى الصحائف . ولما خشى تلميذه « افلاطون » من ان تعبث بالفلسفة ايدى الفناء راى ان النظريات الفلسفية يجب أن تدون بالرموز . وقال العلامة « أبو الفرج قدامه » بن

جعفر الكاتب البغدادى ، المتوفى سنة ٣٣٧ ﻫ فى كتاب (البيان) صحيفة ٥٣ : « وقد أتى فى كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير ، وكان أشدهم إستعمالاً للرمز (أفلاطون) اﻫ .

ولهذا بقى أبو الفرج عشرين سنة فى تفسير « ما بعد الطبيعة » ومرض من الفكرة فيه مرضاً كاد أن يلفظ نفسه فيها .

وقال الشيخ الرئيس (ابن سينا) : « قرأت (ما بعد الطبيعة) فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس علىّ غرض واضعه حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لى محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ، ولا المقصود منه وآيست من نفسى وقلت هذا الكتاب لا سبيل الى فهمه ، وفى بعض الأيام عرض علىّ دلال كتابا فى الفلسفة فرددته رد متبرم معتقداً أنه لا فائدة فى هذا العلم ، وبعد إلحاحه إشتريته فإذا هو كتاب (لأبى نصر الفارابى) فى (أغراض ما بعد الطبيعة) فرجعت الى بيتى وأسرعت الى قراءته ، فإنفتح علىّ فى الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه صار لى على ظهر القلب ، وفرحت بذلك وتصدقت ثانى يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى »

§ § §

(الغموض في الفلسفة الاسلامية)

إختار الرئيس (إبن سينا) عين ذلك الأسلوب الرمزى اليونانى فى مؤلفاته الفلسفية وشدد فى التوصية بضنها عن غير أهلها . وقرر لدراستها شروطاً قلما تجتمع فى واحد ، وقال بعد ذلك كله . : « فإن أذعتَ هذا العلم أو أضعته فالله بينى وبينك وكفى بالله وكيلا » .

« وعذر الرئيس إبن سينا ، فى ذلك أن الفلسفة لا تخلو من إنغلاق شديد وإشتباه عظيم لأن الوهم يعارض العقل فى مآخذها ، والباطل يشاكل الحق فى مباحثها . ولذلك كان مسائلها معارك الآراء المتخالفة ومصادم الأهواء المتقابلة ، حتى لا يرجى ان يتطابق عليها أهل زمان ولا يكاد يتصالح عليها نوع الإنسان . والناظر فيها يحتاج الى قوة بصيرة وزيادة إستعداد وجودة قريحة . ومزيد تجريد للعقل وتمييز الذهن وتصفية للفكر وتدقيق للنظر وإنقطاع عن الشوائب الحسية والأهواء العاطفية ، وإنفصال عن الوساوس العادية ، فمن لم يرزق ذلك فعرض قوانين الفلسفة عليه لا يجدى له إلا زيادة غباوة وخسراناً مبيناً ، فلابد أن تُضن عليه كل الضنّ وهذه الضنة محمودة . وجرى على سيرة إبن سينا فى هذا الأسلوب الرمزى سائر الفلاسفة المسلمين .

فلا غرو أن لا يفهم الفلسفة الإسلامية من ينظر فى كتبها الموضوعة على مناهج رمزية يحار فيها غير المتعمقين فى الفلسفة ، محاولا أن يعرف أغراضها ويكشف أسرارها بمجرد معرفته اللغة العربية أو بعض قواعد العلوم .

ولا يُلام من لم يفهم هذه الفلسفة المرموزة من الغربيين المستشرقين وغيرهم ، ولا يستغرب أن تأتى الفلسفة الإسلامية التى تنقل الى العربية

من طريق الترجمة الغربية مشوهة .

وإنما يوجه اللوم الى من زعم أن ما فهمه بقاصر نظره هو الفلسفة الإسلامية ، وسجل جهله كحقيقة تاريخية توجب إهمال هذه الفلسفة فى التاريخ وتنفى أهميتها ، مع أنها حلقة بارزة فى سلسلة التفكير العام ترتبط بتاريخ إرتقاء العقل البشرى ارتباطاً وثيقاً ، وتفتح أمام الذهن الإنسانى آفاقاً جديدة ، وتوجهه الى البحث عن المثل العليا . ولابد للمجتمع الانسانى من دراستها ، ولا يمكن أن يستغنى عنها كل من يطلب الفلسفة الكاملة التى هى (الحكمة) (ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) .

(كلمة الختام)

إن فيلسوف العرب والإسلام (الكندى) المتبحر فى الفلسفة والعلوم ، والمؤلف فيها مئات من الكتب لجدير بان تخص حياته من وجوهها المختلفة بدراسات تحليلية واسعة النطاق . ولكننى لضيق الوقت وكثرة العمل وازدحام الواجبات إقتصرت فى هذه الكلمة على بحث وجيز فى عقيدته وفلسفته التى هى نواة (الفلسفة إلاسلامية) ! آملا أن تتضافر جهود الأعلام على اختلاف اختصاصهم للتوفر على دراسة حياة الكندى من سائر وجوهها .

ومن يرغب فى معرفة الفلسفة الإسلامية حق المعرفة فليرجع الى كتاب « دروس الفلسفة » من مؤلفاتنا ـ المطبوعة ـ فإنه يجمع الى غزارة المادة وعمق التفكير ، حسن الترتيب وسهولة العبارة وتوضيح النظريات الفلسفية المعقدة ، والمذاهب العلمية الملتوية بأوضح عبارة لا ينتاب أسلوبها غموض ولا جمود ، انتخبنا فيه من المسالك الحديثة ما ألفته طباع أهل العصر ؛

وما يلائم أذواق جمهور المتعلمين ، خالصاً لوجه الله تعالى ووجه الحقيقة ، وما أردت الا الأصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب . النجف الأشرف : عبد الكريم الزنجانى

محتويات الكتاب